

# الفوارق الدينية في الغرب والعلاقة مع العالم الإسلامي

أ. عامر عبد المنعم

(مدير تحرير سلسلة «رؤى معاصرة»)

## ملخص البحث

تعد الخريطة الدينية في الغرب عاملاً رئيسياً لتفسير ما نراه من سياسات الغرب تجاه العالم الإسلامي. وبدون فهم تكوينات المسيحية الغربية لا يمكن فهم منطلقات السياسة الغربية واستراتيجياتها، فالغرب ليس كياناً عقائدياً واحداً، بل انعكس التثليث في النصرانية الغربية على الأرض لتتحول إلى ثلاثة مذاهب رئيسية، بينهم خلافات ضاربة في عمق التاريخ.

تأثير الدين على التوجهات السياسية الغربية يختلف من مذهب لآخر. كما تختلف حالة التدين في الكيانات الثلاثة؛ وفقاً لتصوير كل مذهب، ومن الأمور المثيرة للتساؤل أن النصرانية التي تنتشر في «العالم الثالث» تتراجع في أرضها، خاصة في الغرب الكاثوليكي والبروتستانتي، فيما تشير المعلومات والتقارير إلى أن الإسلام هو الأسرع انتشاراً في الغرب.

وإذا كان التنافس الداخلي بين المذاهب النصرانية لاستقطاب الأتباع لم يتوقف؛ فإن عمليات تنصير الأمم الأخرى، وخاصة الإسلامية، استمرت بدورها، ولكن بتفاوت بين المذاهب الثلاثة؛ فالتبشير البروتستانتي الآن متزايد، ويستغل التفوق الأمريكي كغطاء، في حين يتواصل التبشير الكاثوليكي، بينما يضعف التبشير الأرثوذكسي عالمياً بسبب ضعف وغياب النفوذ وينشط محلياً.

وتتباين مواقف الكيانات الثلاثة تجاه الإسلام، كما تتفاوت منطلقاتها العقدية والتاريخية في كراهيتها وعدائها للإسلام.

وكما يختلف الدور الذي يلعبه الدين في صياغة السياسة الخارجية الغربية؛ فإن الخلاف واضح بين الكيانات الثلاثة في تحركهم على مستوى العالم، ولكن المسيحية الغربية بكل مذاهبها لديها الرغبة في العدوان وحب الغزو، لذلك تعد الصليبية المعاصرة أخطر هجمة يواجهها الإسلام عبر تاريخه، خاصة مع غياب الحكم الإسلامي القادر على رد العدوان، ومع التطور الهائل في أسلحة التدمير التي تمتلكها الصليبية اليوم.

ومن الضروري أن يعمل المسلمون على الاستفادة من الخلافات المذهبية الغربية في المواجهة الحالية مع الحلف الأنجلوساكسوني، والسعي لإنهاء هيمنته على العالم الإسلامي، وذلك من أجل بناء النهضة الإسلامية المستقلة وغيرها من التحركات الواعية التي تخدم الأمة الإسلامية.





## أفكار و مقتطفات

- بدون فهم تكوينات المسيحية الغربية لا يمكن فهم منطلقات السياسة الغربية واستراتيجياتها، وهذا يؤدي بدوره إلى عدم القدرة على وضع استراتيجيات للمواجهة قائمة على أسس علمية وواقعية صحيحة.
- استمرت الهيمنة البابوية على أوروبا بضعة قرون إلى أن حدث الصدع والانشقاق مع ظهور البروتستانتية في القرن السادس عشر، فانقسمت أوروبا الغربية إلى كاثوليك وبروتستانت. وبسبب الخلافات بين روما الكاثوليكية وبيزنطة الأرثوذكسية سقطت القسطنطينية، وفتحت أمام المسلمين؛ حيث رفض الغرب التابع للبابوية أي مساعدة لإخوانهم البيزنطيين.
- لم تتفق المذاهب النصرانية في العالم حتى الآن على طبيعة الإله الذي يعبدون. هل هو لاهوت أم ناسوت؟ أم الاثنين معاً؟ وهل المشيئة لاهوتية أم ناسوتية؟ أم الاثنين معاً؟ - تعالى الله عما يقولون-، وحول هذه الأسئلة عُقدت مجامع ومؤتمرات، ووقعت خلافات وخصومات، وأزهقت أرواح في صدامات ومحارق تمتلئ بها كتب التاريخ الأوروبي.
- في دول المحور البروتستانتية الأنجلوساكسونية بريطانيا وأمريكا وكندا وأستراليا ونيوزيلندا تعتبر اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية، وحيثما توجد الإنجليزية تجد المذهب البروتستانتية هو الغالب على مسيحيي هذا البلد.
- تبدو روسيا وكأنها حامية الأرثوذكس؛ إذ رغم الشيوعية فإن موسكو ترى نفسها روما الثالثة، فنراها تتحرك بقوة دفاعاً عن القضايا الأرثوذكسية فتقف بجانب اليونان والصرب، سواء على الأرض أو في المحافل الدولية.
- الأرثوذكس هم أشد النصارى تديناً، وهم أكثر المذاهب المسيحية ارتباطاً بالكنائس. ويتمسك الأرثوذكس بكنائسهم بشكل لاف، بخلاف المسيحيين في الدول الكاثوليكية والبروتستانتية، فالتدين في هذه الدول ضعيف ولم تعد الكنائس يزورها أحد.
- الإسلام هو الدين الأسرع انتشاراً في الغرب. ورغم الإجراءات التي اتخذتها الدول الغربية والمواقف العنصرية ضد المسلمين، فإن الإسلام ينتشر.
- تشير الإحصاءات إلى أن نسبة اعتناق البروتستانتية من داخل نصارى العالم مرتفعة، في حين تتراجع بالنسبة للكاثوليك، وتتراوح بين الضعف والثبات بالنسبة للأرثوذكس. وهذا الصعود البروتستانتية متوقع استمراره؛ نظراً لاستمرار هيمنة الولايات المتحدة وقوة اقتصادها الذي يضح المزيد لصالح الإرساليات الإنجيلية.
- حقق الكاثوليك انتشاراً واسعاً في إفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا، مستغلين الحملات الاستعمارية والانتشار الأوروبي في احتلال العالم؛ وأدخلت البابوية الكثير من شعوب البلاد المستعمرة في المسيحية، واستخدمت الوسائل التبشيرية في تنصير أمم عديدة مستغلة الفقر والحاجة.



- الملاحظ أن العدد الضخم للمسيحيين في العالم معظمه خارج أوروبا والغرب، وهذا الرقم الكبير الذي يفوق المليارين معظمه في المناطق التي احتلها الغرب، ونهبها ونصّر شعوبها بالضغط والإكراه.
- الدول الكاثوليكية تعادي الإسلام، وتعمل على تقويضه، ويبدو هذا في معاداة كل ما يتعلق بالإسلام في السياسة والمجتمع، خارجياً وداخلياً، ويقود الفاتيكان حملة لإخراج المسلمين من دينهم وتصيرهم؛ لفرض السلطة البابوية على العالم.
- منذ الفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية لم يعد للفاتيكان سلطة سياسية على الحكام، ولكن ليس معنى هذا اختفاء دوره تماماً، فدوره الروحي قائم وبقوة، ولكن دوره السياسي انتزع منه ليبقى في أيدي المَلَكِيَّات والحكومات التي تختارها الشعوب.
- تتسم الكاثوليكية بعدم التسامح في تعاملها مع المخالفين، وتمتلئ كتب التاريخ بالممارسات الوحشية للكنيسة، سواء في حروبها الصليبية التي لم تكن ضد المسلمين فقط، وإنما ضد كل المخالفين من المذاهب النصرانية الأخرى، وهي التي ابتدعت حرق البشر أحياء، وتقطيع أعضائهم فيما عُرف بالقضاء على ما يسمى «الهرطقة».
- المسيحية الغربية بكل مذاهبها لديها الرغبة في العدوان وحب الغزو، لكن هذه الرغبة تعتمد على القوة العسكرية والسياسية المتاحة. فالطبيعة المحبة للعدوان غريزة متأصلة في العقلية الغربية، متوارثة منذ الإغريق، مروراً بالرومان، وزادت بشاعة مع الحضارة الأوروبية الحديثة. لكن الرغبة في الغزو مرتبطة بالقدرة، والمذهب المسيحي المهيمن على الغرب.
- لم تتوقف الحروب الصليبية، ولكنها تأخذ أشكالاً جديدة، وتستخدم وسائل غير تقليدية. ولم تعد الحرب أو القوة العسكرية هي الأسلوب الوحيد للتعامل مع الإسلام والمسلمين، وإنما تعددت الوسائل التي تصبّ لتحقيق هدف خصوم الأمة في منع استعادة الأمة الإسلامية لقوتها، وإجهاض أي نمو أو بروز لقوة إسلامية تسعى للاستقلال عن الهيمنة الغربية وإقامة دولة إسلامية قوية.
- تختار الصليبية المعاصرة شعارات إنسانية لإضفاء مشروعية على خططها للهيمنة على الدول الإسلامية، مثل حقوق الإنسان وتحرير المرأة ونشر الديمقراطية. وترصد الميزانيات للإنفاق على بناء شبكات تتبنى التفسير الصليبي لهذه القضايا. مع استبعاد القرآن والسنة كمرجعية للمسلمين، وإحلال مواثيق الأمم المتحدة واتفاقات جنيف وغيرها بدلاً منها.
- يجب استغلال حالة الفراغ الديني في الغرب، بتوصيل الرسالة الإسلامية إلى الشعوب. هذا يفيد في تثقيف الغربيين بحقيقة الإسلام وتبديد الأكاذيب التي تم غرسها في التربة الأوروبية لتشويع المسلمين، كما أن الدعوة هي أكثر الأساليب تأثيراً في الرد على روح الصراع الغربية.

# الفوارق الدينية في الغرب والعلاقة مع العالم الإسلامي

أ. عامر عبد المنعم : مدير تحرير سلسلة «رؤى معاصرة»

## مقدمة:

لا يمكن بناء علاقة سليمة مع الدول الغربية تحقق مصالح الأمة بدون دراسة علمية وواقعية للغرب. وبسبب غياب مثل هذه الدراسات لا يستطيع المسلمون وضع استراتيجية ناجحة للتعامل مع هذا الكيان الذي يعادي الأمة في مجمله. ولهذا السبب لا تؤتي الجهود المتناثرة للنهضة في العالم الإسلامي ثمارها؛ إذ يتم إجهادها أولاً بأول.

إن أي جهد لاستكشاف الغرب يُقابل بجهد مضادّ خارجياً وداخلياً يُفشله، للإبقاء على صورة الغرب الإيجابية، وإبعاد الأنظار عن التناقضات داخله، وإعطاء صورة مغايرة للواقع على الأرض.

يعمل خصوم الأمة على استمرار جهلنا بحقيقة الخصم؛ لأن العلم يعني تلمس الطرق لإنهاء الهيمنة الغربية على العالم الإسلامي.

تعد الخريطة الدينية في الغرب من القضايا المهمة التي تحتاج إلى دراسة ومتابعة؛ لكونها من العوامل الرئيسية التي تفسّر ما نراه من سياسات الغرب تجاه العالم الإسلامي. بدون فهم تكوينات المسيحية الغربية لا يمكن فهم منطلقات السياسة الغربية واستراتيجياتها، وهذا يؤدي بدوره إلى عدم القدرة على وضع استراتيجيات للمواجهة قائمة على أسس علمية وواقعية صحيحة.

إن المسيحية الغربية ليست شيئاً واحداً. ولا يتبع الغرب كنيسة واحدة، ولا ينخرط الغربيون في مذهب واحد. بل إن المذاهب تختلف بقدر اختلاف اللغات داخل الكيان الغربي. ما يفرق بين أتباع هذه المذاهب أكثر مما يجمعها. وتنعكس هذه الخلافات على صعيد العلاقات البينية وفي علاقات الدول الغربية بالخارج.

بالقدر الذي تقف فيه التقسيمات المذهبية الغربية وراء التحالفات الاستراتيجية الغربية؛ فإن الخلافات الدينية تسببت في صراعات وحروب دامية بين الغربيين أنفسهم، راح فيها الملايين عبر قرون، ولا زالت الخلافات المذهبية تقف وراء التناقضات والصراعات داخل بعض هذه البلدان.

يدور هذا البحث حول المذاهب المسيحية في الغرب، وتأثير الدين على التوجهات السياسية، ولا يتطرق إلى المذاهب المسيحية في باقي العالم؛ سواء في العالم الإسلامي، أو في أمريكا اللاتينية وإفريقيا وآسيا.

إن المسيحية الغربية تختلف عن المسيحية في باقي العالم؛ إذ إن الحضارة الغربية القائمة على حب الصراع ونفي الآخر هي التي أثّرت في المسيحية وليس العكس، وأنتجت منها ديانة محاربة تُضفي مشروعية على العنف والعدوان. ونود أن نلفت الانتباه إلى أن الاستنتاجات التي يصل إليها البحث في تناوله للدين في الغرب

## ١- الخريطة المذهبية للنصرانية الغربية:

الغربي ليس كياناً عقائدياً واحداً. لقد انعكس التثليث في

لا تعني أنها مطلقة، وإنما هي رصد للاتجاه السائد دون نفي وجود استثناءات.

### جدول رقم (١)

#### مقارنة عامة بين العناصر الرئيسية للتدين الغربي

الأرثوذكس	الكاثوليك	البروتستانت	السمة العامة
عقدية	سلطوية	نفعية	
روسيا، اليونان، صربيا والبلقان	فرنسا، إيطاليا، أسبانيا وجنوب شرق أوروبا	أمريكا وأوروبا الغربية وأستراليا	مناطق التركيز
٣,٤٢٪	١٧,٣٣٪	٥,٨٪	النسبة لسكان العالم
مختلفة	مختلفة	الإنجليزية	اللغة
شعوب	مفكرون \ أكاديميون	نخبة	نوع الملتزمين سياسياً
عدائي محلياً \ عقدي	حاقد \ شعبي	حادّ \ نخبوي	الموقف من الإسلام
المعتقدات \ الحقوق المحلية	تنافس حول السيادة على العالم	مصلحية \ هيمنة	طبيعة الخصومة مع الإسلام
قوي	مظهري	ضعيف	الالتزام الديني
قليلة	متوسطة	متوسطة	نسبة الارتداد عن الدين
ضعيف	متوسط	مرتفع	التحول لدين آخر
ضعيفة	سالبة	سريعة	نسبة الانتشار بين المذاهب النصرانية الأخرى
التركيز محلياً	متوسطة	متزايدة	نسبة الانتشار عالمياً (التبشير)
محلي	مستمر	متزايد	تأثير الدين على العمل السياسي
قوي \ قضايا الأرثوذكس	ضعيف	قوي	التأثير الديني على السياسة الخارجية
الحفاظ على الوجود وحماية المصالح	التنصير ونشر الكاثوليكية	استمرار الهيمنة البروتستانتية	التحرك العالمي
ضعيفة دولياً وقائمة إقليمياً	تاريخية	قوية	الرغبة في الغزو العسكري

إعداد المركز العربي للدراسات الإنسانية - الباحث

الإمبراطورية الغربية يدينون بالمسيحية، وبسبب الارستقراطية الرومانية الوثنية، أرغم قسطنطين على بناء العاصمة المسيحية الجديدة التي عرفت باسم القسطنطينية في سنة ٣٣٠م<sup>(٣)</sup>.

كانت الكاثوليكية هي ديانة الإمبراطورية، وكانت القيادة الكنسية تخضع للإمبراطور، وعندما انقسمت انقسمت معها الكنيسة إلى شرقية أرثوذكسية وغربية كاثوليكية. وبينما ظلت الكنيسة الشرقية خاضعة للإمبراطور البيزنطي قويت الكنيسة الرومانية اللاتينية، وبدأت شيئاً فشيئاً تهيمن على مقاليد الأمور في الجزء الغربي من أوروبا.

«بطلوع شمس العقد الرابع من القرن الخامس لم يكن للإمبراطور الروماني في الغرب أي نفوذ خارج إيطاليا، وبدأت الممالك الجرمانية تظهر في غرب أوروبا. وفي العقد السابع من القرن الخامس، لم يعد يوجد في إيطاليا حاكم يحمل لقب الإمبراطور الروماني»<sup>(٤)</sup>.

ومع ضعف الأباطرة وعجزهم عن التصدي لهجمات القبائل الجرمانية انتزعت الكنيسة القيادة في العصور الوسطى، وجمعت بين السلطة السياسية والسلطة الدينية. «واعتبرت نفسها بذلك المهيمنة على العالم كله، والسلطة الوحيدة المخولة بتقديم مفهومها الوحيد عن الإيمان لجميع البشر»<sup>(٥)</sup>.

واستمرت الهيمنة البابوية على أوروبا بضعة قرون إلى أن حدث الصدع والانشقاق مع ظهور البروتستانتية في القرن السادس عشر، فانقسمت أوروبا الغربية إلى كاثوليك وبروتستانت. وبسبب الخلافات بين روما الكاثوليكية وبيزنطة الأرثوذكسية سقطت القسطنطينية، وفتحت أمام المسلمين؛ حيث رفض الغرب التابع للبابوية أي مساعدة لإخوانهم البيزنطيين.

النصرانية الغربية على الأرض لتتحول إلى ثلاثة مذاهب رئيسية. أدى هذا الانقسام إلى الخلافات والانشقاقات بين الغربيين عبر العصور، وساهم في تغيير الحدود الجغرافية، وإنشاء التكوينات السياسية التي أسفرت في النهاية عن شكل الغرب المعاصر.

منذ اعتناق الإمبراطور الروماني قسطنطين للنصرانية في بداية القرن الرابع الميلادي لم تستقر النصرانية على مذهب واحد، لقد اختفت مذاهب وبرزت أخرى؛ وفقاً لمعتقدات كل إمبراطور. في البداية كانت الأريوسية هي المذهب الأكثر انتشاراً، وهذا المذهب. كان يرفض تأليه المسيح، ولكن بعد المجمع المسكوني الأول في ٢٠ مايو ٣٢٥م الذي عقده الإمبراطور لتوحيد عقيدة الإمبراطورية حُورب هذا المذهب وقُضي عليه في أوروبا، وبقي في الشام وإفريقيا وفي شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس)، و«شن الإمبراطور الأرثوذكسي ثيودوسيوس الأول حملة عنيفة سنة ٣٨٣ سنة ٣٨٤ للقضاء على معاقل الأريوسية في النصف الشرقي من الإمبراطورية»<sup>(١)</sup>.

وقد أرجع بعض المؤرخين دخول الإسلام إلى الشام وشمال إفريقيا والأندلس إلى تقبل الأريوسيين بما هو أقرب لمعتقدهم. لقد «كانت النتيجة أن رحبت الكنائس الشرقية المخالفة بالفاتحين المسلمين الذين طرقتوا بلادهم»<sup>(٢)</sup>.

عندما فقد آخر إمبراطور روماني سلطته عام ٤٧٦م انقسمت الإمبراطورية إلى قسمين: الإمبراطورية الشرقية والإمبراطورية الغربية، هذه الأخيرة استولى عليها رؤساء القبائل الجرمانية، وتقسمت إلى ممالك صغيرة، بينما بقيت الإمبراطورية الشرقية فيما يعرف بالإمبراطورية البيزنطية حتى عام ١٤٥٣م، حينما استولى العثمانيون على عاصمتها القسطنطينية (إسطنبول).

من المهم معرفة أنه «حين اعتنق قسطنطين المسيحية لم يكن هناك أكثر من ١٠٪ من سكان نصف

(٣) نفس المرجع.

(٤) نفس المرجع.

(٥) الإرهاب الغربي، روجيه جارودي، الجزء الأول، الشروق الدولية ٢٠٠٤، ص ١١١.

(١) نورمان ف. كانتور، التاريخ الوسيط: قصة حضارة البداية والنهاية، الجزء الأول، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٧٧.

(٢) نورمان ف. كانتور، المرجع السابق، ص ٧٨.



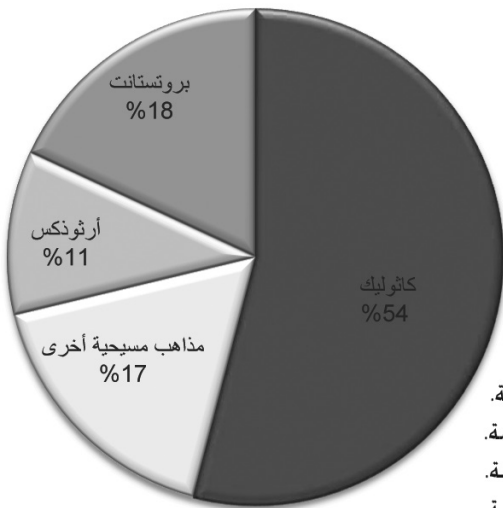
ومشيئتين، وأن الروح القدس منبثق من الأب والابن. ويعتقد الروم الأرثوذكس (القسطنطينية واليونان، وروسيا) أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، وأن الروح القدس منبثق من الأب فقط.

يعتقد البروتستانت بالطبيعتين والمشيئتين، وبأن الروح القدس منبثق من الأب والابن، مثل الكاثوليك، ولكن يختلفون عنهم في أنهم يرفضون سلطة البابا، ويرفضون الاعتراف على يد الكاهن، وأن مجرد الإيمان بالمسيح يكفي لتكفير خطاياهم، وأمور أخرى تصب في مجملها في عدم وجود وسيط بينهم وبين الرب.

### النسبة لسكان العالم:

تشير الإحصاءات<sup>(٦)</sup> إلى أن نسبة الذين يعتنقون المسيحية ٣٣,٣٪ من سكان العالم، أي بما يزيد عن الملياري نسمة. منهم ١٧,٣٣٪ كاثوليك (حوالي ١,١٣ مليار نسمة)، ويعتق ٥,٨٪ من سكان العالم المذهب البروتستانتي (حوالي ٣٧٨ مليون نسمة)، ويعتق المذهب الأرثوذكسي ٣,٤٢٪ من سكان العالم (حوالي ٢٢٣ مليون نسمة).

رسم يوضح نسبة المذاهب لإجمالي المسيحيين في العالم



كاثوليك: ١,١٣ مليار نسمة.  
بروتستانت: ٣٧٨ مليون نسمة.  
أرثوذكس: ٢٢٣ مليون نسمة.  
مذاهب أخرى: ٣٦٩ مليون نسمة.

رغم وجود مذاهب مسيحية كثيرة؛ فإننا نركز في هذا البحث على الفرق الثلاث التي تشكّل المسيحية الغربية. الطائفة الأولى هم الكاثوليك الذين يخضعون لقيادة واحدة تتمثل في بابا الفاتيكان.

الطائفة الثانية: هم البروتستانت، وأهم ما يميزهم أنهم لا يخضعون إلى كنيسة واحدة وهم فرّق وكنائس كثيرة ومتعددة.

الطائفة الثالثة: هم الأرثوذكس وهم وسط بين الطائفتين السابقتين. إذ لكل دولة كنيسة يخضع لها الأتباع حسب الجنسية.

يتركز الكاثوليك بشكل أساسي في جنوب وشرق أوروبا، وتعد فرنسا وإيطاليا وأسبانيا من قلاع الكاثوليكية في الغرب، وقد انتشرت الكاثوليكية بفعل الاستعمار والتبشير في أمريكا اللاتينية وإفريقيا جنوب الصحراء وآسيا.

يتركز البروتستانت في الجزء الغربي والشمالي من أوروبا، وفي أمريكا الشمالية وأستراليا ونيوزيلندا. بينما يتركز الوجود الأرثوذكسي في روسيا واليونان وصربيا.

### إن الخلافات بين هذه المذاهب ضاربة في عمق التاريخ.

أهم هذه الخلافات ما يتعلق بطبيعة الإله، فلم تتفق المذاهب النصرانية في العالم حتى الآن على طبيعة الإله الذي يعبدون. هل هو لاهوت أم ناسوت؟ أم الاثنين معاً، وهل المشيئة لاهوتية أم ناسوتية؟ أم الاثنين معاً؟ - تعالى الله عما يقولون-، وحول هذه الأسئلة عُقدت مجامع ومؤتمرات، ووقعت خلافات وخصومات، وأزهقت أرواح في صدامات ومحارق تمتلئ بها كتب التاريخ الأوروبي.

ومن باب العلم بالشيء يمكن تلخيص أهم هذه الخلافات على النحو التالي:

يعتقد الكاثوليك أن للمسيح طبيعتين،

(٦) الكتاب السنوي للمخابرات الأمريكية ٢٠٠٧ م fact book.



ففي دول المحور البروتستانتية الأنجلو ساكسوني بريطانيا وأمريكا وكندا وأستراليا ونيوزيلندا تعتبر اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية، وحيثما توجد الإنجليزية تجد المذهب البروتستانتية هو الغالب على مسيحيي هذا البلد. كل الدول التي استعمرتها بريطانيا وتتحدث الإنجليزية -كلفة رسمية- يغلب على المسيحيين بها المذهب البروتستانتية، ولم يحدث تغير رغم حملات التبشير الكاثوليكي. هذا موجود في جنوب إفريقيا، وغانا وغيرها.

بالنسبة للكتلة الكاثوليكية لا توجد لغة موحدة، وإنما لكل دولة اللغة الخاصة بها. ولم تستطع البابوية أن تفرض اللغة الإيطالية على باقي الكاثوليك. ونفس الحال مع معتقي الأرثوذكسية؛ إذ لا تجمعهم لغة واحدة، ولكل دولة لغتها الرسمية الخاصة بها.

### ثانياً: التأثير الديني على التوجهات السياسية:

يختلف تأثير الدين على التوجهات السياسية من مذهب لآخر. يبدو التأثير الديني في الدول البروتستانتية على النُخب دون الشعوب. ويتجلى هذا في المواقف السياسية الداخلية والخارجية، وإذا أخذنا الولايات المتحدة نموذجاً سنجد أن الدين يلعب دوراً محورياً في تشكيل الحياة السياسية، وهو حاضر في المعارك الانتخابية، ويتصدر المتدينون المشهد السياسي. وسنلمس أيضاً أن القضايا الاجتماعية التي تستقطب اهتمام الجمهور هي القضايا ذات البعد الديني مثل الإجهاض، وتدريس الدين في المدارس، والدعم الحكومي للجمعيات الدينية، وتدريس نظرية داروين.

وفي الجانب الكاثوليكي فإن الالتزام الديني يبدو واضحاً لدى المفكرين والأكاديميين والقادة السياسيين، ويكاد يختفي عند الشعوب. ويسيطر التعصب على قطاعات واسعة من المفكرين والأكاديميين والقادة السياسيين. فهم الذي يُظهرون

إن إعادة قراءة هذه الأرقام يعطي دلالات مهمة تفيد عند دراسة خريطة الأديان في العالم. من المعروف أن المسيحية الغربية تختلف عن المسيحية في دول العالم الثالث. والعرق الغربي يختلف عن باقي الأعراق حتى المنتمين لمذهب واحد. من هنا فإن القول بأن ثلث سكان العالم مسيحيون وتابعون للغرب لا يمكن التسليم به.

إن مجموع سكان الغرب الذي يشمل أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا ونيوزيلندا بما فيه من ديانات أخرى يبلغ أقل من ١٤٪ من سكان العالم.

الذي يزيد حصة المسيحية في مجموع سكان العالم هو ضم معتقي النصرانية في أمريكا اللاتينية وإفريقيا وآسيا، ومن المعروف أن مواقف الشعوب في هذه الدول ليست مؤيدة للغرب. من ضمن قائمة أكبر ١٠ دول بها مسيحيون في العالم، من حيث عدد السكان، توجد دول لا تنتمي للغرب ولا تحسب عليه مثل البرازيل (١٩٠ مليون نسمة، ٨٨٪ منهم مسيحيون) والمكسيك (١٠٨ مليون، منهم ٨٥٪ مسيحيون) والفلبين (٩١ مليون، منهم ٩٢٪ مسيحيون)، ودولتان معاديتان للغرب هما الصين (١,٣ مليار نسمة، منهم ٣٪ مسيحيون) وروسيا (١٤١ مليون، منهم ١٥٪ مسيحيون أرثوذكس والباقي أقليات مختلفة).

### اللغة:

تلعب اللغة دوراً كبيراً في العلاقة بين الشعوب، وتقوم بدور فعال في تقوية الروابط والتواصل، وإذا ارتبطت اللغة بالعقيدة الدينية فإنها تعمل كآلية على نشر هذه العقيدة، هذا يحدث مع المذهب البروتستانتية دوناً عن باقي المذاهب النصرانية. فالظاهرة اللافتة للنظر أن معظم الذين يعتقدون البروتستانتية يتحدثون الإنجليزية، حتى «كان الاقتناع بأن الحضارة الإنجليزية تسمو فوق أية حضارة أخرى مرتبطاً بشكل وثيق مع فكرة أن الإنجليز هم شعب الله المختار، ففي الشؤون الدولية كان لهذا جانبان، فقد كانت حالة من يتحدى الرب يتحدى إنجلترا، أو حالة من يتحدى إنجلترا إنما يتحدى الرب»<sup>(٧)</sup>.

(٧) الشعب المختار، الأسطورة التي شكلت إنجلترا وأمريكا، الشروق الدولية، ٢٠٠٣م، ص ٢٥.

بكنائسهم بشكل لافت، بخلاف المسيحيين في الدول الكاثوليكية والبروتستانتية، فالتدين في هذه الدول ضعيف، ولم تعد الكنائس يزورها أحد.

إن ظاهرة بيع الكنائس لا نراها في الدول الأرثوذكسية، ولكنها موجودة ويُعلن عنها دومًا في الدول الكاثوليكية والبروتستانتية؛ حيث تتحول إلى متاحف ومتاجر ومساجد في بعض الأحيان.

إن «أكثر من ١٦٠٠ كنيسة، أي ١٠٪ من مجموع الكنائس في بريطانيا صُنِفَتْ رسميًا على أنها زائدة عن الحاجة.. في ألمانيا من المقرر إقفال أو إعادة استعمال نحو ١٠٠ كنيسة لأغراض أخرى. إن عددًا كبيرًا تحول إلى مقاهٍ أو قاعات حفلات موسيقية، أو مستودعات أو شقق فخمة.. ثمة مدرسة سيرك في كنيسة القديس بولص السابقة في بريستول في إنجلترا. وقد غنت مادونا في باراديسو، وهي كنيسة قديمة تم تحويلها إلى نادٍ ليلي في أمستردام. وفي روما يطيب لرواد المطاعم تناول العشاء في ساكرو إي بروفانو، وهو مطعم شعبي في وسط المدينة داخل كنيسة، كما أُعيد ترميم كنيسة القديسة مريم المتداعية في دبلن لتصبح مطعمًا فاخرًا»<sup>(٨)</sup>.

لكن لا يمكن رصد التدين في هذه البلاد وفق مقاييسنا نحن المسلمين. أي بالتردد على الكنائس مثلاً، أو بأداء الشعائر، وإن كان هذا مهمًا؛ لأن فكرة الدين في الغرب مختلفة؛ إذ إن الدين الغربي تم تبسيطه إلى درجة رفعت عنه التكاليف.

على سبيل المثال فإن فكرة الخلاص لم تعد تعني في البروتستانتية أكثر من حب المسيح. والبروتستانت يعتقدون أن «التبرير بالإيمان وليس بالأعمال» أي أن الخلاص يتم بمجرد الإيمان بيسوع، ولا يوجد أي تكاليف. ونظرية مارتن لوثر عن «الخلاص بالإيمان لا بالأعمال الصالحات قد قوّضت دعائم سلطة رجال الكهنوت»<sup>(٩)</sup> الذين كانوا يتربحون من كونهم وسطاء للمغفرة وتكفير الخطايا.

من هنا فإن الشخص يمكن أن يفعل كل الموبقات،

المواقف العدائية تجاه الإسلام، والتعصب هنا له بُعد ثقافي وتاريخي وعقدي وغير مرتبط بالتدين الشخصي لأي منهم، كما أن الدين لا يظهر في الحياة السياسية والمعارك الانتخابية.

ونقرر ملاحظة مهمة، وهي أن إيطاليا وأسبانيا على وجه الخصوص يبدو فيهما التعصب، ربما أكثر من باقي الدول الكاثوليكية، إيطاليا لكونها مقرًا للفاشيكان وأسبانيا بسبب العداء التاريخي والحروب التي دارت في الأندلس.

أما في الكتلة الأرثوذكسية فإن الالتزام الديني يأخذ بعدًا شعبيًا. ويتراجع دوره نخبويًا ويغيب عن القيادة السياسية، وهذا التدين الشعبي هو الذي دفع حكومات هذه الدول حتى وهي شيوعية إلى التحرك والدفاع عن قضايا مرتبطة بالوجود الأرثوذكسي، خاصة في البلقان. وتبدو روسيا وكأنها حامية الأرثوذكس؛ إذ رغم الشيوعية فإن موسكو ترى نفسها روما الثالثة، فنراها تتحرك بقوة دفاعًا عن القضايا الأرثوذكسية، فتقف بجانب اليونان والصرب سواء على الأرض أو في المحافل الدولية.

### حالة التدين:

تصور الغربيين للدين يختلف عن تصور المسلمين، ونفس الأمر بالنسبة للتدين الشخصي. عدم تبين نقاط الاختلاف يجعل البعض يفهم أشياء على غير حقيقتها، وبالتالي يصل إلى استنتاجات لا تكون دقيقة. وأيضًا لا يمكن أن ننظر إلى صورة الدين والتدين على أنها صورة واحدة في الغرب. فالصورة في أوروبا تختلف عنها في أمريكا، وصورة الكاثوليك في أوروبا تختلف عن الكاثوليك في أمريكا. يختلف الموقف من الدين عند السياسيين في أوروبا عنه عند السياسيين في أمريكا. وحالة الارتداد عن المسيحية في أوروبا تختلف عنها في أمريكا.

تختلف حالة التدين في الكيانات الثلاثة وفقًا لتصور كل مذهب. ويمكن القول: إن الأرثوذكس هم أشد النصارى تدينًا، وهم أكثر المذاهب المسيحية ارتباطًا بالكنائس. ويتمسك الأرثوذكس

(٨) دور جديد للكنائس، نيوزويك الطبعة العربية، ٢٧ فبراير ٢٠٠٧

(٩) ويل ديورانت، قصة الحضارة، المجلد السادس، ص ٣١١

وهذه الأرقام رسمية، وهي تقل عن الأرقام الحقيقية التي تكشفها بحوث ودراسات ميدانية. إذ تشير الدراسات إلى أن «الذين خرجوا من المسيحية في فرنسا حتى ١٩٩٨م ويعيشون بلا ديانة يتجاوزون نصف الفرنسيين»<sup>(١٢)</sup>. وتصل النسبة إلى ٩٠٪ من الهولنديين. وفي أمريكا فإن «الظاهرة في الازدياد، ففي عام ١٩٥٧م كانت ٢,٦٪ وفي عام ١٩٩٤م نمت النسبة إلى ٩,٢٪ من السكان»<sup>(١٣)</sup> أي أن نسبة الـ ١٠٪ كانت منذ عقد من الزمان. وهكذا يمكن القياس على ذلك في باقي الدول.

لكن الوضع في الدول الأرثوذكسية يختلف. الارتداد موجود ولكنه قليل. فإذا استبعدنا روسيا؛ بسبب عدم وجود دراسات عن الديانات بها لأسباب سياسية، وأخذنا صربيا واليونان كنموذجين نجد أن الإحصاءات تشير إلى تدني هذه النسبة. ففي صربيا (١٠ ملايين، منهم ٢,٦٪ فقط تشمل من لا يعرف لهم دين)، وفي اليونان (١٠,٧ مليون منهم ٩٨٪ أرثوذكس، ١,٣٪ مسلمون، و٠,٧٪ فقط للآخرين).

### التحول لدين آخر:

تشير المعلومات والتقارير إلى أن الإسلام هو الدين الأسرع انتشاراً في الغرب. ورغم الإجراءات التي اتخذتها الدول الغربية والمواقف العنصرية ضد المسلمين فإن الإسلام ينتشر. لكن من الملاحظ أن الأمريكيين يعتنقون الإسلام أكثر من الأوروبيين، ربما لكون المذهب البروتستانتي أقرب إلى الإسلام من الكاثوليكية والأرثوذكسية، فهو يرفض وجود واسطة بين الإنسان والرب، ويرفض إعطاء الكنائس ورجال الدين أي سلطة متعلقة بالغفران.

وربما كان انتشار الإسلام وتراجع الكاثوليكية في القارة الأوروبية هو السبب الذي دفع البابا بندكت السادس عشر إلى أن يبدأ بالتحريض ضد الإسلام والنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- في محاضراته الشهيرة في ألمانيا لإثارة العداوات التاريخية، وتحريض الغربيين. فالبابا استشهد بمناظرة بين

ويكون متديناً؛ لأن المسيح كفر عنه الخطايا كما يعتقدون. بل إن مارتن لوتر يرى إنه «عندما يغوينا الشيطان بإلحاح مزعج، فقد يكون من الحكمة أن نستسلم لإرائه ونقترب ذنباً أو اثنين.. ولا بد للمرء أن يقترب أحياناً ذنباً؛ كراهية واحتقاراً للشيطان حتى لا يعطيه الفرصة لكي يجعله يشعر بتأنيب الضمير على أشياء لا تستحق الذكر»<sup>(١٠)</sup>.

### نسبة الارتداد عن الدين:

من الأمور المثيرة للساؤل أن النصرانية التي تنتشر فيما يطلق عليه «العالم الثالث» تتراجع في أرضها، خاصة في الغرب الكاثوليكي والبروتستانتي. مع ثباتها في الدول الأرثوذكسية. تشير الأرقام إلى أن الكاثوليكية تعاني من انفضاض قطاعات من أتباعها في أوروبا وارتدادهم عنها. يخرج الأوروبيون الكاثوليك عن المسيحية بنسب مرتفعة. في الغرب البروتستانتي تقل النسبة إلى حد ما لكنها متزايدة، السمة الغالبة للمرتدين عن المسيحية في أوروبا أنهم يظلون بلا دين، بينما ينضم المرتدون عن المسيحية في أمريكا إلى الجماعات الروحية وإلى الإسلام.

فيما يلي نسبة المرتدين عن المسيحية<sup>(١١)</sup> من دول مختلفة من الكتلتين الكاثوليكية والبروتستانتية تشير إلى أن ترك المسيحية والعيش بلا دين باتت ظاهرة متزايدة:

كندا	١٦٪
فنلندا	١٣,٥٪
فرنسا	٤٪
ألمانيا	٢٨,٣٪
أيرلندا	٣,٥٪
هولندا	٤١٪
بريطانيا	٢٣,١٪
أمريكا	١٠٪
أستراليا	١٥,٣٪

(١٢) لوموند ديبلوماتيك الطبعة العربية، عدد سبتمبر ٢٠٠١م.

(١٣) مايكل كوريت وجوليا كوريت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، الجزء الثاني، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٢م، ص ٦٥.

(١٠) المرجع السابق، ص ٣١٠

(١١) الكتاب السنوي للمخابرات الأمريكية ٢٠٠٧م fact book.

إمبراطور بيزنطي ومسلم فارسي، رغم ما بين روما وبيزنطة من عدا، وما صدر من حرمان لأسقف القسطنطينية.

### نسبة الانتشار بين المذاهب النصرانية الأخرى:

من الملاحظ أن التنافس الداخلي بين المذاهب النصرانية لاستقطاب الأتباع لم يتوقف. قام بذلك الكاثوليك مثلهم مثل الأرثوذكس وأيضاً البروتستانت. وكان التفوق يعود إلى القدرة العسكرية في البداية، ثم انتقل إلى أساليب أخرى بعد أن أنهكت الحروب كل الأطراف.

لقد «أقدم الأباطرة الرومان المسيحيون على إيقاع الأذى، وإنزال الاضطهاد العنيف بالمسيحيين الذين يخالفونهم المذهب. وشهدت الإمبراطورية من فنون التعذيب وقساوته في عصرها المسيحي مع المسيحيين، ما لم تعرفه في عصرها الوثني، ليس فقط من جانب النظام السياسي تجاه الناس، بل من جانب رجال الدين الذين يساندهم هذا النظام لمصلحته السياسية، ويساندونه هم لمصالحهم الدنيوية، وإعلاء شأن مذهبهم، ضد إخوانهم الذين يعارضونهم الرأي»<sup>(١٤)</sup>.

استغل الكاثوليك الحروب الصليبية لكثلكة شعوب أوروبية لم تكن اعتنقت النصرانية، وانخرط الأوروبيون في حروب لعشرات السنين بين الكاثوليك والبروتستانت، أشهرها حرب الثلاثين عاماً. ولازلنا نرى حتى اليوم بقايا هذه الحروب في الصدام في أيرلندا الشمالية بين الكاثوليك والبروتستانت.

استغل الكاثوليك الحروب الصليبية لنشر الكاثوليكية، واستطاعوا أن يضموا موارد لبنان إلى البابوية، رغم خلافهم في قضية المشيئة الواحدة، ولأزالوا مرتبطين بالفاتيكان حتى اليوم (يرى المارون أن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة).

الوضع الآن تغير؛ إذ تدور المنافسة بطرق عديدة وبوسائل سلمية، لكن ما يلفت الانتباه أن الإرساليات البروتستانتية، خاصة مع هيمنة المذهب سياسياً على الغرب، استطاعت أن تقتطع من الكعكة الكاثوليكية، وتستقطب الكثير من الكاثوليك، خاصة في أمريكا اللاتينية التي كانت تحت سيطرة كاملة للفاتيكان. وتشير الإحصاءات إلى أن نسبة اعتناق البروتستانتية من داخل نصارى العالم مرتفعة، في حين تتراجع بالنسبة للكاثوليك، وتتراوح بين الضعف والثبات بالنسبة للأرثوذكس. وهذا الصعود البروتستاني متوقع استمراره؛ نظراً لاستمرار هيمنة الولايات المتحدة وقوة اقتصادها الذي يضخ المزيد لصالح الإرساليات الإنجيلية.

في أول زيارة له إلى بلد أمريكي لاتيني منذ توليه البابوية في أبريل ٢٠٠٥م عبّر البابا بندكت السادس عشر عن قلقه من انخفاض عدد أعضاء الكنيسة الكاثوليكية في المنطقة بشكل كبير، وحسب دراسة جديدة يتبع ٦٤٪ من البرازيليين حالياً الكنيسة الكاثوليكية، مما يعني انخفاضاً بنسبة ١٠٪، وذلك بالتوازي مع ارتفاع ملحوظ في عدد أتباع الكنائس الإنجيلية. وقال بندكت: إن «تحول الكاثوليكين إلى الكنائس الإنجيلية أكبر هاجس لنا، وعلينا إيجاد حل مناسب»<sup>(١٥)</sup>.

### نسبة الانتشار عالمياً (التبشير):

حقق الكاثوليك انتشاراً واسعاً في إفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا مستغلين الحملات الاستعمارية والانتشار الأوروبي في احتلال العالم؛ ولأن الدول الأوروبية الكاثوليكية كانت هي الأكثر عدداً وانتشاراً؛ فقد أدخلت البابوية الكثير من شعوب البلاد المستعمرة في المسيحية، واستخدمت الوسائل التبشيرية في تنصير أمم عديدة مستغلة الفقر والحاجة. وبسبب التنافس مع البروتستانت «كسبت

استغل الكاثوليك الحروب الصليبية لكثلكة شعوب أوروبية لم تكن اعتنقت النصرانية.

(١٥) الموقع العربي لـ BBC على الإنترنت في ١٠ مايو ٢٠٠٧م تحت عنوان البابا يحث البرازيل على نبذ الإجهاض.

(١٤) د. رافت عبد الحميد، الإمبراطورية البيزنطية: العقيدة والسياسة، الجزء الأول، دارقباء، ط١ عام ٢٠٠٠م القاهرة، ص ٥٠.



الصليبية، والصدامات مع العثمانيين، والحروب في الأندلس، مع الشحن الثقافي ضد الإسلام منذ العصور الوسطى.

إن محاربة الإسلام رسمياً وبتضافر جماعي، بدأت مع الحروب الصليبية التي شنها البابا أوربان الثاني، اليهودي الأصل، الذي أعلن قيامها باسم الرب في مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م. كانت الحروب الصليبية «محاولة من جانب البابا في صراعه مع الإمبراطورية ليمنح نفسه سلطاناً على شعوب أوروبا وقادتها، من ملوك وأباطرة وأكليروس؛ ليعيد للعالم المسيحي وحدته.. وتحويل الوطن العربي إلى وطن أوروبي، فيما وراء البحار، والعرب إلى لاتين كاثوليك، وذلك عن طريق السيف»<sup>(١٧)</sup>.

ولم تتوقف محاولات البابوية عن «محاربة الإسلام منذ ذلك الوقت، وإن اختلفت المسميات وتتنوع الأساليب، إلى أن كان المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٥م، فقد أسفر هذا المجمع عن قرارات أساسيين لا سابقة لهما في التاريخ فيما يتعلق بالديانات غير المسيحية، وهما تبرئة اليهود من دم المسيح، وإقرار مبدأ التحاور مع الإسلام لاقتلعه»<sup>(١٨)</sup>.

كل هذا جعل الوعي الشعبي مشحوناً بالعداء تجاه الإسلام. يضاف إلى هذا طبيعة العقلية الغربية المحبة للصراع والكارهة للآخر؛ التي تجعل الشخص الغربي في عدا مع من حوله. وهذا العداء الشعبي للإسلام هو الذي يدفع قادة الغرب إلى اتخاذ مواقف عدائية على أرضية ثابتة من التأييد الشعبي تبعث على الاطمئنان.

بالنسبة للدول الأرثوذكسية فإن العداء للإسلام يتخذ موقفاً شعبياً، وقد أدى هذا العداء المتعصب في تواريخ سابقة إلى احتلال أراضي المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز. لكن مع الخلافات المذهبية مع الكاثوليك والبروتستانت وسعيهما لمنع استعادة

الكنيسة الكاثوليكية الرومانية من الأنصار في العالم الجديد أكثر مما سلبهم منها الإصلاح الديني في العالم القديم»<sup>(١٦)</sup>.

لكن لم ينجح التبشير في قلب العالم الإسلامي، وعجزت الدول الاستعمارية عن تنصير المسلمين، رغم استمرار احتلال الدول الإسلامية فترات طويلة، وهذا ما دفع التبشير إلى البحث عن نقاط الضعف والمناطق الرخوة لتنصير أهلها. فالملاحظ أن العدد الضخم للمسيحيين في العالم معظمه خارج أوروبا والغرب، وهذا الرقم الكبير معظمه في المناطق التي احتلها الغرب، ونهبها ونصّر شعوبها بالضغط والإكراه.

لكن التبشير البروتستانتي الآن متزايد، ويستغل التفوق الأمريكي كغطاء لنشر المذهب البروتستانتي في العالم، في حين يتواصل التبشير الكاثوليكي، بينما التبشير الأرثوذكسي يركز على العمل محلياً.

### الموقف من الإسلام:

تتباين مواقف الكيانات الثلاثة تجاه الإسلام، ففي الدول البروتستانتية يتسم الموقف بأنه حاد ومن النخبة دون الشعوب، فالنخبة تتأصب الإسلام العداء، وتتوالى التصريحات المعادية للإسلام، وأصبح من المعتاد بروز مواقف معادية لتشويه المسلمين. ويبدو هذا في تصريحات الدعاة التلفزيونيين مثل بات روبرتسون وجيري فالويل، وسياسيين مثل جون أشكروفت وغيره من المحافظين الجدد. وتأييد هذه النُخب للحرب ضد الإسلام واضح، بل إنهم يحرضون على المزيد. لكن في المقابل فإن الشعوب لا تتخذ ذات الموقف؛ إذ يغلب عليها التسامح مع الإسلام خاصة المحلي، بل إن عدم وجود التأييد الشعبي المعادي للإسلام كثيراً ما يدفع من يسيئون للمسلمين - خاصة في وسائل الإعلام - إلى التراجع، والاعتذار في بعض الأحيان.

الوضع في الدول الكاثوليكية الأوروبية يختلف؛ إذ إن الموقف من الإسلام شعبي حاد، وهذا ناتج عن الميراث التاريخي والثقافي الناتج عن الحروب

(١٧) د. زينب عبد العزيز، الفاتيكان والإسلام، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص ١٣.

(١٨) المرجع السابق، ص ١٤.

(١٦) ويل ديورانت، مرجع سابق، ص ٢٣١.

في صياغة السياسة الخارجية؛ بسبب الارتباط والتداخل بين الدين والسياسة، عندما استقل الملك هنري الثامن عن البابوية بين عامي ١٥٢٩ و١٥٣٦م، وعين نفسه رئيساً للكنيسة الإنجليزية، وحتى اليوم في بريطانيا يعتبر الملك أو الملكة هو رئيس الكنيسة الإنجليكانية، وفي أمريكا لا توجد كنيسة تقود البروتستانت دينياً، وإنما ساسة متدينون، ورجال دين يعملون بالسياسة. فالظاهرة اللافتة أن «الكاثوليكية تصنع المسيحي، بينما بحسب البروتستانتية فإن المسيحيين هم الذين يصنعون الكنيسة»<sup>(١٩)</sup>. وهؤلاء المتدينون لهم أجندة دينية ينفذونها. وهذه النزعة الدينية في الدول البروتستانتية كان لها أكبر الأثر على قضايا المسلمين، إذ إن وعد بلفور عندما كانت بريطانيا قائدة هذا التكتل نتج عنه إعطاء فلسطين إلى اليهود. كما أن نقل الهيمنة من بريطانيا إلى الولايات المتحدة ترتب عليه استمرار وقوع معظم العالم الإسلامي في القبضة الاستعمارية البروتستانتية.

الوضع في الدول الكاثوليكية مختلف، فمنذ الفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية لم يعد للفاثيكان سلطة سياسية على الحكام. ولكن ليس معنى هذا اختفاء دوره تماماً، فدوره الروحي قائم وبقوة، ولكن دوره السياسي انتزع منه؛ ليبقى في أيدي المَلَكِيَّات والحكومات التي تختارها الشعوب. ولأن العلمانية غالبية على الشعوب الأوروبية؛ فإن الدين لا يظهر بشكل جلي كما هو في السياسة الخارجية للبروتستانت.

وإذا انتقلنا إلى الدول الأرثوذكسية فنسجد أن وجود الدين في السياسة الخارجية انتقائي. يكاد يكون قاصراً على التكاثر للدفاع عن مصالح الأرثوذكسية؛ ونظراً لأن النُخب والقيادات السياسية المتأثرة بالشيوعية لا تنطلق من الدين؛ فإن هذا التعصب الشعبي لا يظهر في السياسة الخارجية لهذه الدول.

الأرثوذكسية لقوتها السابقة يدفع دولة مثل روسيا إلى مد جسور التعاون مع المسلمين لتقوية موقفها أمام خصومها. ورغم بعض الاشتباكات العسكرية مع الإسلام (الشيشان، وأفغانستان سابقاً)؛ فإن الروس ليس لديهم تطلعات معادية للدول الإسلامية في الوقت الراهن.

### طبيعة الخصومة مع الإسلام:

تتسم كراهية البروتستانت للإسلام بأنها مرتبطة بالمصالح وحبّ الهيمنة، فالدول البروتستانتية قد تدخل في صداقات مع المسلمين من أجل مصالحها مثل السعودية، وتخوض حروباً ضد أخرى (أفغانستان والعراق) من أجل استمرار الهيمنة على العالم، حتى في مواقفها مع الإسلاميين الذين يرفعون الشعارات الإسلامية؛ فإن دولاً مثل أمريكا وبريطانيا لا تتعامل مع الإسلاميين بنمط واحد من التعامل، فهي تحارب الإسلاميين الذين يريدون إقامة دولة إسلامية حقيقية تعيد للإسلام دوره كقائد للأمة، وتتعاون مع الإسلاميين الذين يحققون مصالحها، ولا يعادون هيمنتها خارجياً وداخلياً.

في المقابل فإن الدول الكاثوليكية تعادي الإسلام وتعمل على تقويضه، ويبدو هذا في معاداة كل ما يتعلق بالإسلام في السياسة والمجتمع، خارجياً وداخلياً، ويقود الفاتيكان حملة لإخراج المسلمين من دينهم وتنصيرهم لفرض السلطة البابوية على العالم.

أما الأرثوذكس فهم الأكثر عداً للإسلام، وتتبع هذه الكراهية من منطلقات عقدية، لكن هذا العداء والتعصب الأرثوذكسي موجه أساساً إلى الإسلام المحلي، ويبدو هذا الموقف المتعصب تجاه الجمهوريات الإسلامية التي تقع داخل روسيا مثل الشيشان والقوقاز والقرم؛ إذ يرفض الروس إعطاء مسلمي هذه البلاد استقلالهم، ويتحملون الاستنزاف الاقتصادي الضخم، ويتحملون الخسائر الجسيمة في الأرواح، دون التفريط في هذه البلاد.

### ثالثاً: التأثير الديني على السياسة الخارجية:

في الدول البروتستانتية يلعب الدين دوراً محورياً

(١٩) أندرو مولر، مختصر تاريخ الكنيسة، ط٤، مكتبة الإخوة، ٢٠٠٣م، ص ٤٦٦.

كان هذا سلوك البريطانيين ومن بعدهم الأمريكيين. وهذا بخلاف الكاثوليكية في زمن ازدهارها وعلوها السياسي. إذ سعت البابوية لنشر سلطتها عبر الحروب، وكانت العقيدة هي محور اهتمامها، وأساس منطلقاتها، فكانت حروبها دينية في الأساس، وكان الصليب هو شعارها إلى أن تراجعت مكانة البابوية، وخسرت سلطانها السياسي.

لكن استغلال الدين من قِبَل الكاثوليكية كان يخفي وراءه الأطماع السلطوية للبابا؛ لفرض هيمنته في إطار طموحات حكم العالم وفقاً لتأويلات نابعة من «الكتاب المقدس»؛ باعتبار أن بطرس كان خليفة يسوع لحكم العالم، وأن البابا خلف بطرس في رئاسة كنيسته التي بنيت في الفاتيكان وهو الأجدر بحكم العالم.

وإذا كانت النفعية هي التي تحرك البروتستانت، والسلطوية هي التي تحرك الفاتيكان؛ فإن الأرثوذكس يدورون حول القضايا العقيدية، فالدولة البيزنطية كانت متمحورة حول عقيدتها حتى سقطت القسطنطينية، وبقي الأرثوذكس ينطلقون من منطلقات عقيدية حتى الآن. فروسيا دخلت حرب القرم بدوافع عقيدية ضد الدولة العثمانية، «وكانت المسألة الرئيسية هي الرغبة الروسية في أن تصبح حامية الحقوق للمسيحيين الأرثوذكس، من رعايا الدولة العثمانية (المسلمة). وكان هذا يعني أن روسيا ستكون القوة المهيمنة في الأراضي المقدسة»<sup>(٢٣)</sup>، وهذا الأمر دفع الأوروبيين الكاثوليك والبروتستانت للتحالف مع العثمانيين ضد الروس، فوقفت بريطانيا وفرنسا مع المسلمين بدوافع عقيدية أيضاً.

وبنفس المنطلقات أشعل الصرب حرب البلقان مع انهيار يوغسلافيا، ووقفت ضد استقلال البلاد الإسلامية مثل البوسنة وكوسوفا. وبذات المنطلقات ساندت روسيا، ولا زالت تساند، صربيا في مواجهة الغرب الكاثوليكي والبروتستانتي.

إذا جاز لنا أن نختار سمة يتميز بها السياسيون البروتستانت؛ فإننا يمكن أن نقول: إنهم نفعيون، يبحثون عن مصالحهم. لقد ارتبطت البروتستانتية في نشأتها بالأمراء والملوك أكثر من ارتباطها بالعامّة. بدأت بالإقطاعيين والأمراء الذين طمعوا في أملاك الكنائس الكاثوليكية وثروات رجال الدين. «إن لوثر قد وجد معضديه وأعوانه بين أفراد الطبقات العليا بصفة خاصة، وقد اعترف بالأمراء كممثلين للشعب، ومنذ ذلك الوقت صار نفوذ الدولة أحد العناصر الرئيسية في تكوين الكنائس الإنجيلية»<sup>(٢٠)</sup>.

اعتنق الأمراء البروتستانتية «وهم لا يتطلعون إلا إلى وضع الأملاك بين أيديهم وتحت ستار الإنجيل كانت نية الأمراء متجهة إلى سلب الكنائس فحسب.. واستطاعوا أن يستولوا على ممتلكات الكنيسة، وتقاسموها فيما بينهم»<sup>(٢١)</sup>. لقد «كانت الكنيسة الألمانية أغنى الكنائس في العالم المسيحي، ويقدر البعض أن ما يقارب من ثلث الأراضي في البلاد كانت بين أيدي الكنيسة»<sup>(٢٢)</sup>.

لقد استمر الارتباط بين الأمراء والإقطاعيين والنخب الحاكمة بالمذهب البروتستانتي إلى الآن، وإليه يرجع علو الأثرياء وسيطرة الرأسمالية المتغولة في أمريكا والغرب.

فالدين مرتبط برأس المال. بل إن الرأسمالية الجشعة تستمد مشروعيتها من المذهب البروتستانتي وملتصقة به. تأتي النظريات التي تقف وراء تحكم رأس المال والشركات العابرة للجنسيات من المعسكر البروتستانتي. وهذا المعسكر هو الذي يعمل على عبادة رأس المال. وتبدو النفعية في أوضح صورها في المجتمع الأمريكي القائم على امتصاص خيرات العالم، ومن قبله كانت بريطانيا إلى أن غابت عنها الشمس. فالبحث عن الثروات ومصادرتها له الأولوية ومقدماً على نشر العقيدة.

(٢٠) المرجع السابق، ص ٤٦٩.

(٢١) ويل ديورانت، مرجع سابق، ص ٣٦١ وص ٣٦٢.

(٢٢) مرجع سابق، ص ٣٦١ وص ٢٧٧.

٢٣ - الشعب المختار، الأسطورة التي شكّلت إنجلترا وأمريكا، «الشروق الدولية»، ٢٠٠٣م، ص ٢٥.



### تأثير الدين على العمل السياسي:

في العصور الوسطى عندما كانت الكنيسة الكاثوليكية تجمع بين السلطتين: الدينية والزمنية، كان رجال الدين هم رجال السياسة، ولكن مع تحجيم دور الكنيسة السياسي بعد الفضائح والانحرافات التي ارتبطت برجال الدين تصدّر العلمانيون العمل السياسي، وتم إبعاد الدين إلى حد ما عن التأثير المباشر. فلا يظهر الدين كمحرك للأحزاب السياسية في الدول الأوروبية الكاثوليكية، كما لا يظهر الدين بوضوح في المعارك الانتخابية، والقضايا السياسية، وإن كانت الهوية الكاثوليكية حاکمة.

على العكس من ذلك نجد أن الدين عنصر أساسي في العمل السياسي في الدول البروتستانتية، فهو حاضر وبقوة، ونرى هذا بوضوح في الولايات المتحدة. نراه في المعارك الانتخابية بين الحزبين الأمريكيين: الجمهوري والديمقراطي؛ حيث تتضمن البرامج مواقف تجاه قضايا دينية.

في الدول الأرثوذكسية لا يظهر الدين في العمل السياسي، ولا توجد أحزاب دينية، وهذا النهج ربما منذ أيام الإمبراطورية؛ إذ كان الأباطرة يحرصون على تحجيم الكنيسة، والتقليل من قدر رجال الدين؛ للانفراد بالسلطة، وفرض الهيمنة الكاملة. وكان غياب الدين في الحياة السياسية سبباً في ظهور الشيوعية كحركة نضالية تسعى لتحقيق الاشتراكية في روسيا ودول الكتلة الشرقية، ومع أن الشيوعية ساهمت في تحجيم الدين في دولة مثل روسيا وأوروبا الشرقية فإن الدين يظهر بنسب متفاوتة في العمل السياسي المحلي ويزيد تأثيره في دول أخرى مثل صربيا واليونان.

### التحرك العالمي:

يوجد خلاف واضح بين الكيانات الثلاث في تحركهم على مستوى العالم. ما يهم الدول البروتستانتية هو استمرار الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية على العالم، أكثر من اهتمامهم باعتناق الشعوب الأخرى للمسيحية.

رغم أن التبشير البروتستانتي يعمل بقوة، فإنه متروك للجماعات التبشيرية وليس للتحرك السياسي، وليس معنى هذا عدم وجود تنسيق بين القرار السياسي والمبشرين، فالتنسيق موجود، وبسببه لم تعلن بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، رغم انحياز العثمانيين إلى الألمان، حتى لا يتعرض المبشرون الإنجليكان لعمليات انتقامية.

فالتحرك البروتستانتي يعمل على استمرار الهيمنة على العالم، وهو يستخدم كل الوسائل لتحقيق هذه الغاية، فهو تحرك عنيف يستخدم الجيوش، وكل ما يملك من أسلحة لفرض هيمنته، ولم يتورع العسكريون البروتستانت في استخدام أشد الأسلحة فتكاً لاستمرار قيادتهم للغرب والعالم، وهم الذين استخدموا القنبلة النووية في الحرب العالمية الثانية ضد اليابان.

بالنسبة للكاثوليكية فالأمر يختلف الآن عن السابق. تتسم الكاثوليكية بعدم التسامح في تعاملها مع المخالفين، وتمتلئ كتب التاريخ بالممارسات الوحشية للكنيسة، سواء في حروبها الصليبية التي لم تكن ضد المسلمين فقط، وإنما ضد كل المخالفين من المذاهب النصرانية الأخرى، وهي التي ابتدعت حرق البشر أحياء، وتقطيع أعضائهم فيما عُرف بالقضاء على ما يسمى «الهرطقة». لكن هذه الدموية التي شهدتها العصور الوسطى انتهت بانتزاع السلطة السياسية من الكنيسة وعزل رجال الدين، وإبعادهم عن السلطة الزمنية. وبسبب هذا الفصل بين الدين والدولة تراجع الدور الكاثوليكي على الساحة العالمية قليلاً، لكنه مستمر في العمل ضد الصعود الإسلامي. ورغم أن أوروبا الآن لا تشكل تهديداً عسكرياً، كما كان في الماضي، فإن السياسيين الأوروبيين يساهمون في الحروب مع المحور الأنجلوساكسوني البروتستانتي. ويتكامل مع الدور السياسي النشاط التبشيري الواسع للفاتيكان؛ حيث يعمل من أجل كُتْلَة العالم كطريق لفرض السلطة البابوية.

هذا النشاط المحموم من البروتستانت والكاثوليك

الصليبية الرابعة التي دعا إليها البابا إينوقنتيوس الثالث في ١٢٠٢، وأسفرت الحملة عن تخریب وتدمير عاصمة الدولة البيزنطية»<sup>(٢٥)</sup>.

ومع الانشقاق الكبير ضعفت الكاثوليكية وبرزت البروتستانتية كقوة مهيمنة على الغرب، ومع صعود بريطانيا تفوق الإنجليكان الجدد على أسلافهم، واحتلوا معظم العالم تحت اسم الاستعمار، وعندما ضعفت الإمبراطورية البريطانية عقب الحرب العالمية الثانية سلمت التركة لصنوها في المذهب الولايات المتحدة؛ لتستمر الهيمنة على العالم حتى الآن.

وذات الرغبة عند الأرثوذكس، فالإمبراطورية البيزنطية احتلت الشام وشمال إفريقيا ردًا من الزمان، حتى جاء المسلمون وفتحوا هذه البلاد، وخلصوها من ظلم الرومان، ثم أسقطوا هذه الإمبراطورية على يد محمد الفاتح في عام ١٤٥٣م. وعندما قويت شوكة الروس غزوا الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، واحتلوا الكثير من الأراضي الإسلامية، وضموها بالقوة في فترات ضعف المسلمين. ورغم تفكك الاتحاد السوفييتي لا زالت بعض الجمهوريات الإسلامية خاضعة بالقوة للحكم الروسي حتى الآن.

لكن مع تغير الأوضاع الاستراتيجية وتبدل موازين القوة داخل المعسكر الغربي، فإن المحور الأنجلوساكسوني البروتستانتي يشكل خطرًا بسبب ارتباط

التفسيرات الدينية بما يُعرف بحروب نهاية الزمان، فالعقيدة البروتستانتية مرتبطة بفلسطين والمنطقة العربية، إذ يعتقدون أن المسيح سيعود إلى القدس بعد حروب يموت فيها الملايين، وترتفع فيها الدماء إلى رقاب الخيل. ومن هنا تأتي الرغبة المحمومة لتصنيع أسلحة التدمير، وسيطرة المجمع الصناعي العسكري على القرار الأمريكي.

يقابله تحرك من نوع آخر بالنسبة للدول الأرثوذكسية، فالتكتل الأول والثاني يتحالفان دومًا ضد الثالث لأسباب مذهبية، وكلاهما يعمل على تحجيم الأرثوذكس. تسعى الكاثوليكية منذ زمن للهيمنة على الكنيسة الأرثوذكسية، وكل جولات الحوار التي دارت بين الجانبين كان الغرض منها تذويب الكنيسة الأرثوذكسية، وضمها تحت قيادة الفاتيكان. ويزيد البروتستانت على ذلك أن لديهم تأويلات من الكتاب المقدس - الخاصة بسفر الرؤيا - ترى أن الشيوعيين الروس هم العدو، وأنهم سيتحالفون مع العرب في معارك نهاية الزمان.

### الرغبة في الغزو العسكري:

المسيحية الغربية بكل مذاهبها لديها الرغبة في العدوان وحبّ الغزو، لكن هذه الرغبة تعتمد على القوة العسكرية والسياسية المتاحة. فالطبيعة المحبة للعدوان غريزة متأصلة في العقلية الغربية، متوارثة منذ الإغريق، مرورًا بالرومان، وزادت بشاعة مع الحضارة الأوروبية الحديثة. لكن الرغبة في الغزو مرتبطة بالقدرة، والمذهب المسيحي المهيمن على الغرب.

عندما كانت البابوية مهيمنة في القرون الوسطى، وكان البابا هو صاحب القرار الديني والسياسي غزا الصليبيون العالم الإسلامي، ولم تتوقف الرغبة في الغزو عند بيت المقدس، وإنما توجهت الحملات الصليبية إلى

شمال إفريقيا والأندلس، بل وامتدت إلى المخالفين للكاثوليكية، «وفي القرن الثالث عشر كانت الحملات الصليبية توجّه ضد أعداء البابوية في أوروبا بمعدل يفوق معدل توجيهها ضد المسلمين»<sup>(٢٤)</sup>، فاجتاح الصليبيون إخوانهم في الديانة المخالفين في المذهب، فاحتل الكاثوليك القسطنطينية، وأذاقوا أهلها الأرثوذكس الويلات، وارتكبوا فيها من المذابح ما لا يقل عما فعلوه مع المسلمين. «كان ذلك في الحملة

في القرن الثالث عشر كانت الحملات الصليبية توجه ضد أعداء البابوية في أوروبا بمعدل يفوق معدل توجيهها ضد المسلمين

#### ٤- خطورة الصليبية المعاصرة:

تعد الصليبية المعاصرة أخطر هجمة يواجهها الإسلام عبر تاريخه، وهذا يرجع إلى سببين، الأول: غياب الحكم الإسلامي القادر على رد العدوان.

الثاني: التطور الهائل في أسلحة التدمير التي تمتلكها الصليبية اليوم، فالصليبية المعاصرة صليبية محاربة حتى النخاع، متسلحة بأسلحة تدمير غير مسبوقة. وهذا التفوق العسكري والقدرة المتفوقة في التدمير جعل الغرب يسيطر على البحار والمحيطات، وعلى الجو أيضاً من خلال سلاح الجو المتطور، وترتب على هذا استمرار الهيمنة على العالم الإسلامي.

بجانب القوة العسكرية تتخفى الصليبية المعاصرة وراء شعارات متلونة، ولا يستخدم صليبيو اليوم ذات الشعارات القديمة المباشرة، خاصة في عصر الإنترنت والطفرة في تكنولوجيا الاتصالات.

كانت الصليبية في الماضي تظهر في شكل حروب يشنها الغربيون تحت راية الصليب، وكان تحركهم الأساس عسكري الطابع. وفي المقابل كانت الدولة الإسلامية لها حدود وجيوش، وكان الكيان الإسلامي حصيناً ليس للغربيين قدرة على اختراقه.

اليوم تغير الحال، انهارت الدولة الإسلامية الواحدة التي تحكم وتحمي العالم الإسلامي، وترتب على ذلك اجتياح الغربيين للأراضي الإسلامية، واستباحة كل شيء فيها وإضعاف مناعتها.

ومنذ ضعف وسقوط الخلافة الإسلامية تم تقسيم الأمة إلى دويلات قُطرية منفصلة عن بعضها ومرتبطة بشبكة من القيود التي تمنعها من الانعتاق من الهيمنة الغربية. لم تتوقف الحروب الصليبية، ولكنها تأخذ أشكالاً جديدة، وتستخدم وسائل غير تقليدية. ولم تعد الحرب أو القوة العسكرية هي الأسلوب الوحيد للتعامل مع الإسلام والمسلمين، وإنما تعددت الوسائل التي تصبّ لتحقيق هدف خصوم الأمة في منع استعادة الأمة الإسلامية لقوتها، وإجهاض أي نمو، أو بروز لقوة إسلامية تسعى للاستقلال عن الهيمنة الغربية، وإقامة دولة إسلامية قوية.

تتبعكس الخلافات الكثيرة بين المذاهب النصرانية الغربية على سياسات الدول الغربية في تعاملها مع الدول الإسلامية. هناك تباين في المواقف، فالدول البروتستانتية تختلف عن الدول الكاثوليكية، والاثنتان تختلفان عن الدول الأرثوذكسية، لكن درجة الاختلاف تزيد وتتنقص حسب مصالح هذه الدول. قد تجتمع في قضية وتنفرد في قضايا.

إذا حاولنا تقدير درجة التهديد التي تشكلها هذه التكتلات الثلاث، يمكننا أن نقول: إن الدول البروتستانتية -خاصة المحور الأنجلوساكسوني- تشكل تهديداً خطيراً، فهذا المحور الذي تقوده أمريكا بعد بريطانيا يهيمن على العالم منذ ثلاثة قرون، وهو الذي يقف أمام استعادة المسلمين لاستقلالهم.

تأتي خطورة هذا المحور من أن الدين يشكل أحد أهم نقاط الانطلاق عند قادته السياسيين. ولا يوجد انفصال بين الدين والدولة، فالتداخل بينهما واضح.

يأتي بعد ذلك بمسافة الدول الكاثوليكية التي تخضع مذهبياً لقيادة الفاتيكان، في مقدمة هذه الدول فرنسا وأسبانيا وإيطاليا. وهذه الدول لا تشكل تهديداً عسكرياً للعالم الإسلامي في الوقت الحالي بالقدر الذي يشكّله المحور الأنجلوساكسوني؛ إذ إن الحروب الصليبية التي قادتها البابوية انتهت بنقل المكانة الروحية من القدس إلى مدينة الفاتيكان، وتحويل الحج من كنيسة القيامة في بيت لحم إلى كنيسة القديس بطرس التي نقل إليها ما يسمى «زخائر القديسين»، التي تم الاستيلاء عليها من القدس ومن القسطنطينية إبّان الحروب الصليبية ضد المسلمين ضد الإمبراطورية البيزنطية.

كان لإضعاف البابوية صفة «كنيسة الرب» على كنيسة القديس بطرس أثره في تحويل أنظار الكاثوليك في العالم عن الشرق، وجعل قبلتهم إلى الفاتيكان. لكن مع تراجع الخطر العسكري للكاثوليك؛ فإن حملات التنصير التي يقودها الفاتيكان تشكل خطراً على المدى البعيد.

العمل الخيري، وتبين أنها وراء إرسال المتطوعين الصليبيين من أنحاء العالم للقتال بجانب الاحتلال الأمريكي ضد المسلمين في العراق.

### خامساً: كيف يستفيد المسلمون من الخلافات المذهبية الغربية؟

#### ١- عدم التعامل مع الغرب على أنه كيان واحد:

من المهم الاستفادة من الخلافات والتناقضات بين الكيانات الغربية، وتلمس المساحات التي يمكن استغلالها لتعزيز مصالح الإسلام بأقل تكلفة ممكنة. على سبيل المثال يجب استغلال المواجهة بين الغرب وروسيا والدول المتحالفة معها، خاصة في مجال التكنولوجيا والتسليح.

#### ٢- تنشيط عمليات الدعوة في الغرب:

يعد الغرب بيئة خصبة للدعوة الإسلامية، وبه مساحات كبيرة يمكن استغلالها؛ حيث تهيمن القيم المادية والعلمانية على المجتمعات الغربية، وتوجد قطاعات كبيرة بلا دين، لكن هذه المجتمعات تحتاج إلى أساليب دعوية غير تقليدية. هذا الأمر يفرض على المنظمات الدعوية أن تعمل بوعي وبدراسة لهذه المجتمعات، وتبتكر وسائل دعوية جديدة وعدم الاكتفاء بالطرق التقليدية.

يجب استغلال حالة الفراغ الديني في الغرب، بتوصيل الرسالة الإسلامية إلى الشعوب. هذا يفيد في تثقيف الغربيين بحقيقة الإسلام، وتبديد الأكاذيب التي تم غرسها في التربة الأوروبية لتشويه المسلمين، كما أن الدعوة هي أكثر الأساليب تأثيراً في الرد على روح الصراع الغربية.

#### ٣- عدم المبالغة في قوة الفاتيكان:

الخريطة المذهبية للدين والتطورات السياسية في الغرب لا تعكس قوة الفاتيكان، كما يتصور البعض في العالم الإسلامي. ومن هنا فإن المبالغة في قوة الفاتيكان، والسعي لاسترضائه من الظواهر

أما بالنسبة للكتلة الأرثوذكسية الشرقية المتمركزة في روسيا والبلقان واليونان؛ فإن هذه الدول لا تمتلك القدرة أو الرغبة في العدوان الخارجي على الدول الإسلامية الأخرى، بل يدفعها الخلاف المذهبي والفكري مع المعسكر الغربي إلى الانفتاح على الدول الإسلامية لتحقيق مصالحها. ومثال روسيا يعبر عن هذه الحالة؛ إذ كانت في عهد الشيوعية ثم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي تختلف في تعاملها مع الدول الإسلامية عن المعسكر الغربي.

لكن ومع الخلافات بين كيانات الغرب الثلاثة؛ فإن الكاثوليك والبروتستانت - على وجه خاص- يتحدثون في المعركة ضد الإسلام منذ الحملات الاستعمارية وحتى اليوم. وتبدو خلافاتهم في التفاصيل وفي الوسائل.

يشارك معظم دول الغرب الكاثوليك في حروب أمريكا الأخيرة. ورغم تباين الحماس بشأن العمليات العسكرية ضد المسلمين؛ فإن الغرب يتحد في المواجهة مع الإسلام في ساحات أخرى، عبر اتفاقات مؤثرة مثل مواجهة ما يسمى بـ «الارهاب»، وفي المنظمات الدولية كالأمم المتحدة وغيرها، خاصة عند التصويت في قضايا المسلمين.

بوجه عام تختار الصليبية المعاصرة شعارات إنسانية لإضفاء مشروعية على خططها للهيمنة على الدول الإسلامية، مثل حقوق الإنسان وتحرير المرأة ونشر الديمقراطية. وترصد الميزانيات للإنفاق على بناء شبكات تتبنى التفسير الصليبي لهذه القضايا. مع استبعاد القرآن والسنة كمرجعية للمسلمين، وإحلال مواثيق الأمم المتحدة واتفاقات جنيف وغيرها بدلاً منهما.

وتتخفى الأنشطة الصليبية أحياناً وراء كيانات ومنظمات إغاثية وذات طابع إنساني لتنشط في الدول الإسلامية، وهي كقرون الاستعمار للحكومات الصليبية، بعضها للتصوير وبعضها لتحقيق أهداف أخرى مثل التجسس ودراسة المجتمعات، وبعضها يغير جلده وقت الحرب، كما فعلت منظمة فرسان مالطا، التي تنشط في الدول الإسلامية تحت واجهة

اللافتة والمثيرة للاندھاش حول دوافع التحركات  
المنادية بالحوار.

#### ٤- قطع الطريق على تواصل النصرانية الغربية مع الأقليات النصرانية في العالم الإسلامي:

تسعى المسيحية الغربية دوماً للهيمنة على الكنائس  
في العالم الإسلامي، ونجحت في بعض البلدان في  
ضم قطاعات من نصارى المشرق إليها من خلال  
حملات التبشير الكاثوليكي والبروتستانتي. إن  
من مصلحة الأمة أن لا يحدث تقارب بين الأقليات  
المسيحية في الدول الإسلامية والنصارى في الغرب؛  
لمنع التأثير في اتجاهين. الأول: فقدان الاستقلال  
والانتماء للكنائس الغربية. الثاني: استخدام  
الأقليات لأجندات خارجية غريبة لصالح الصليبية  
العالمية.

#### ٥- مواجهة الحلف الأنجلوساكسوني وانهاء هيمنته على العالم الإسلامي:

يجب التصدي لعداء المحور البروتستانتي الأنجلوساكسوني  
بما يقابله، وليس بالارتقاء في أحضانه والاستسلام له.  
من مصلحة الأمة إنهاء العلاقات «الاستراتيجية» مع هذا  
المحور، والابتعاد عن هيمنته بشتى الوسائل.

#### ٦- الانعتاق من العلاقة مع الغرب وبناء النهضة الإسلامية المستقلة:

عندما نقول: إن الغرب ليس كياناً واحداً؛ فإن هذا  
لا يعني أن نظل رهينة للغربيين أبد الدهر، وإنما  
نريد تحسين عملية إدارة العلاقة. إن التحرك المطلوب  
كاستراتيجية لكل المسلمين هو إنهاء الهيمنة الغربية  
أيّاً كان نوعها، والتخلص من الاحتلال الغربي بكل  
ألوانه ومذاهبه، العنيف والناعم. والعمل على بناء  
قوتنا الذاتية، وتوسيع المساحات المحررة وتقاربها  
إلى أن تحدث لحظة الالتحام والنهوض.





## معلومات إضافية

### الأرثوذكس

#### التعريف:

هي أحد الكنائس الرئيسية الثلاث في النصرانية، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكل نهائي عام ١٠٥٤م، وتمثلت في عدة كنائس مستقلة لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأن الروح القدس منبثقة عن الأب وحده، وعلى خلاف بينهم في طبيعة المسيح، وتُدعى أرثوذكسية بمعنى مستقيمة المعتقد، مقابل الكنائس الأخرى، ويتركز أتباعها في المشرق؛ ولذا يطلق عليها الكنيسة الشرقية.

#### التأسيس:

في نهاية القرن التاسع الميلادي، وبالتحديد بعد انقضاء مجمع القسطنطينية الخامس عام ٨٧٩م أصبح يمثل الأرثوذكسية كنيسة رئيسان رئيسيتان:

- الكنيسة الأرثوذكسية المصرية أو القبطية، والمعروفة باسم الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية أو كنيسة الإسكندرية، التي تؤمن بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشية واحدة، وتضم كنائس الحبشة والسودان، ويوافقها على ذلك كنائس الأرمن واليعقوبية.
- الكنيسة الأرثوذكسية أو كنيسة القسطنطينية، والمعروفة باسم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية، تخالف الكنيسة المصرية في طبيعة المسيح، بينما توافق الكنيسة الكاثوليكية الغربية بأن للمسيح طبيعتين ومشيتين، ويجمعها مع الكنيسة المصرية الإيمان بانبثاق الروح القدس عن الأب وحده، وتضم كنائس أورشليم واليونان وروسيا وأوروبا الشرقية.

#### الجزور الفكرية والعقائدية:

- الكتاب المقدس بالإضافة إلى المجامع المسكونية حتى مجمع كليدونية ٤٥١م بالنسبة للكنيسة المصرية، ومجمع القسطنطينية بالنسبة للكنائس الأرثوذكسية الأخرى.
- الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، والفلسفة الغنوصية.
- الحضارات القديمة: المصرية، اليونانية، الهندية.

#### الانتشار ومواقع النفوذ:

- تنتشر الكنائس الأرثوذكسية اليونانية في الدول التالية: تركيا، اليونان، روسيا، ودول البلقان، وجزر البحر الأبيض، والمجر ورومانيا، وتشرف كنيسة أنطاكية على بيت المقدس، كما أن لطور سيناء في مصر كنيسة مستقلة تشرف على دير سانت كاترين ومطرانها هو رئيس الدير.





## الكاثوليك:

### التعريف:

أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتدعي أنها أم الكنائس ومعلمتهن، يزعم أن مؤسسها بطرس الرسول، وتتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما، وتعترف بسيادة بابا روما عليها، وسميت بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة، وتؤمن بإله واحد مثلث الأقانيم: الأب، الابن، الروح القدس، وتؤمن بأن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد: إحداهما لاهوتية، والأخرى ناسوتية.

### التأسيس:

- يدعي أصحابها بأن القديس بطرس ت٦٢م هو المؤسس الأول لكنيستها على حسب ما أشار إليه القديس سيبريان ٢٤٨ - ٢٥٨م مع أن مصادر التاريخ الكنسي تشير إلى أن لكل من بولس وبطرس دوره في وجودها.
- أول من استعمل لفظ كاثوليك للدعوة لتأييد الكنيسة، مقابل حركات الخروج على مفاهيمها وعقائدها - الهرطقة -، أسقف أنطاكية القديس أغناطيوس الأنطاكي في القرن الثاني الميلادي.
- منذ أن أسس قسطنطين مدينة القسطنطينية روما الجديدة، وبنى فيها كنيستها أياصوفيا وجعلها تلي كنيسة روما في المكانة، قام التنافس بين الكنيستين في السيطرة على العالم المسيحي، الذي استمر إلى أن تم الانفصال الإداري بينهما عام ٨٦٩م بعد مجمع القسطنطينية.

### الجزور الفكرية والعقدية:

- نصوص الكتاب المقدس، بالإضافة إلى المجامع المسكونية والإقليمية أو المحلية التي أيدت عقيدة الكنيسة.
- الديانات الوثنية: المجوسية، البوذية، الرومانية، المصرية القديمة.
- الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، الفلسفة الغنوصية.

### الانتشار ومواقع النفوذ:

- تنتشر في أوروبا: إيطاليا، فرنسا، لتوانيا، بولندا، سلوفاكيا، المجر، كرواتيا، بلجيكا، أسبانيا، البرتغال، أيرلندا، كندا الفرنسية، أمريكا اللاتينية، الفلبين، وجنوب شرق آسيا. وهناك أقليات في الولايات المتحدة الأمريكية، وهولندا، وألمانيا، وبعض دول إفريقيا.

### البروتستانت:

### التعريف:

فرقة من النصرانية احتجوا على الكنيسة الغربية باسم الإنجيل والعقل، وتسمى كنيستهم بالبروتستانتية؛







حيث يعترضون (Protest) على كل أمر يخالف الكتاب وخلص أنفسهم، وتسمى بالإنجيلية أيضاً؛ حيث يتبعون الإنجيل دون سواه، ويعتقدون أن لكل قادر الحق في فهمه، فالكُل متساوون ومسؤولون أمامه.

### التأسيس:

الكنيسة البروتستانتية حركة إصلاحية بدأت في الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر متأثرة بدعوات الإصلاح السابقة لها، ومن ثم تحولت من حركة إصلاحية داخل الكنيسة إلى حركة عقائدية مستقلة ومناهضة لها.

نتيجةً للحرية الفردية في فهم وتفسير الكتاب المقدس لكل فرد من المؤمنين بالمذهب البروتستانتية انقسمت الحركة البروتستانتية إلى كنائس عديدة، وطوائف مختلفة.

### ومن أهم الكنائس البروتستانتية:

الكنيسة اللوثرية: وقد بدأ إطلاق هذه التسمية على المؤمنين بأفكار معتقدات مارتن لوثر في القرن السادس عشر.

الكنائس المصلحة: وإن كان يُقصد بها بوجه عام جميع الكنائس البروتستانتية؛ إلا أنه من الناحية التاريخية تقتصر على الكنائس البروتستانتية التي يركز أصلها على عقائد كلفن، وعلى أساس النظام الكنسي المشيخي الذي تركّز فيه السلطات على سلسلة مجالس من الشيوخ العلمانيين ورجال الأكليروس.

الكنائس الأسقفية: تطلق الكنيسة الأسقفية عند الإطلاق على الكنيسة الإنجيلية، ويتبعها في أمريكا عدد من الكنائس الأسقفية، وتتبع هذه الكنائس النظام الأسقفي على أنه نظام إلهي خلافاً لسائر الفرق البروتستانتية.

### البروتستانتية والصهيونية المسيحية:

كان لليهود المهاجرين من أسبانيا إلى أوروبا، وبخاصة فرنسا وهولندا، أثرهم البالغ في تسرب الأفكار اليهودية إلى النصرانية من خلال حركة الإصلاح، وبخاصة الاعتقاد بأن اليهود شعب الله المختار، وأنهم الأمة المفضلة، كذلك أحقيتهم في ميراث الأرض المباركة.

كانت هزيمة القوات الكاثوليكية وقيام جمهورية هولندا على أساس المبادئ البروتستانتية الكالفينية عام ١٦٠٩م بمثابة انطلاقة للحركة الصهيونية المسيحية في أوروبا.

انتقلت الصهيونية المسيحية إلى أمريكا من خلال الهجرات المبكرة لأنصارها نتيجة للاضطهاد الكاثوليكي، وقد استطاعت تأسيس عدة كنائس هناك من أشهرها الكنيسة المورمونية، ويعتبر سايسروس سكولفليد ١٨٤٣م الأب اللاهوتي للصهيونية المسيحية في أمريكا.





لعبت تلك الكنائس دوراً هاماً في تمكين اليهود من احتلال فلسطين، واستمرار دعم الحكومات الأمريكية لهم -إلا ما ندر- من خلال العديد من اللجان والمنظمات والأحزاب التي أنشئت من أجل ذلك.

وفي العصر الحديث تعتبر الطائفة التبديرية التي يصل عدد أتباعها لعشرات الملايين والمعروفة باسم الأنجلوساكسون، البروتستانت البيض من أكثر الطوائف مغالة في تأييد الصهيونية، وفي التأثير على السياسة الأمريكية في العصر الحاضر.

### الجدور الفكرية والعقائدية:

- نصوص الكتاب المقدس، وبخاصة نصوص العهد القديم.
- الديانات الوثنية.
- الفلسفة الأفلاطونية الحديثة.
- الأفكار والمبادئ الصهيونية والتلمودية.
- يعتقد بعض الباحثين أن الإصلاحات التي نادت بها حركة الإصلاح، ونتج عنها البروتستانتية قد تأثرت بالإسلام.

### الانتشار ومواقع النفوذ:

تنتشر الكنائس البروتستانتية في: ألمانيا، هولندا، بريطانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، أستراليا، نيوزيلندا، سويسرا، الدانمارك، وتوجد أقليات بروتستانتية في باقي الدول الأخرى.

### المصدر:

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

